

3

سبب اختصاص الإنسان بالصورة:

هنا سؤال:
لم حُصَّ الإنسان
بكونه صورة الله
تعالى؟

يجيب عن ذلك ابن عربي من
خلال ثلاثة أمثلة: (الكنز،
والظل، والصبية) وبها يحاول
إثبات أمرين:

- وجود الإنسان مع الله تعالى
أزلاً وأبداً.
- أنه على الصورة الإلهية مذ
كان في الأزل، وسيبقى
على ذلك إلى الأبد.



الكنز:

الحق تعالى كان كنزاً مخفياً، وكان هذا الخفاء في صورة (الإنسان الكامل)، فلما أراد أن يُظهر كنزيتَه أظهر الإنسان الكامل، ليظهر معه صورته .

والذي يظهر من كلامه أن الإنسان الكامل ثابت في العدم قبل الوجود فذلك يدل على أنه مع الله أزلاً ، فلا أسبقية هنا .



الظل:

(الإنسان الكامل) مع الصورة الإلهية، مثال
الظل مع الشخص، نفي معقول فيه، فإذا
أراد الله تعالى أظهره ومدّه كما يمد
الظل، فيكون مثلاً له، وإلا لو شاء لجعله
ساكناً، فلا يظهر في الوجود الحسي إلا
الله وحده .



الحبة:

الحبة إذا دفنت في الأرض: انفلقت فأعطت ما اختزنته من ساق وأوراق، وكذلك حبوباً كالأصل، فالحبة الغائبة كان مختزن فيها الحبة التي برزت وظهرت، فلما ظهرت دلت على الغائبة، فهي مثلها. إلا أن هذه شهادة وتلك غيب، وكذلك الإنسان الكامل مع الإله، فالإنسان برز وصار مشهوداً من الحق الغائب.

فهذه الأمثلة الثلاثة (الكنز
والظل والحبّة) كلّها تشير في
رأي ابن عربي إلى أزلية الإنسان
مع الله ، وتطابق الصورة .

يقسم الصوفية
(الكُمَّل) من الناس
إلى مراتب :

من هم بمنزلة
القوى الحسية
وهم (الورثة).

من هم بمنزلة
القوى الروحية
وهم (الأنبياء
عليهم السلام).

النفس الناطقة
(محمد عليه
السلام).

4

مناقشة قول الصوفية في الصورة :

كان مما استدل به الصوفية على قولهم في كون الإنسان الكامل على الصورة الإلهية قوله صلى الله عليه وسلم: (خلق الله آدم على صورته)، لكن مفهومه في الحقيقة ليس على النحو الصوفي، وآراء العلماء في هذه المسألة متعلقة بعود الضمير على من؟

القول الأول

قول من عاد بالضمير إلى الله تعالى، وهو رأي ابن تيمية ونسبه إلى السلف من الصحابة رضي الله عنهم وأهل القرون الثلاثة المفضلة. وهذا القول متناسب مع علة الحديث فلما كان آدم على صورة الرحمن تعالى وجب تكريم الوجه فلا يضرب . وبعض العلماء ذكر أن المعنى : أن الله خلق آدم على صفته من العلم والحياة والسمع والبصر، من غير تشبيه ، أو أن آدم خلق كاملاً من غير تدرج ، كذلك الله وجوده كاملاً من غير نقص .

القول الثاني

أن الضمير يعود إلى آدم، وهو أقرب مذكور في الحديث، وبه قالت الجهمية المعطلة للصفات بدعوى التنزيه، وهذا القول لا مناسبة بينه وبين علة الحديث، فلو كان المعنى لا تضربوا الوجه لأنه خلق آدم على صورة آدم، لم يكن للحديث معنى وفائدة

القول الثالث

أن الضمير يعود إلى المضروب، والمعنى أن الله تعالى خلق آدم على صورة المضروب، وعليه يجب تكريم الوجه، والمناسبة هنا ظاهرة، وبهذا يكون القول الأول والثالث الأقرب للقبول من الثاني، الذي لا وجه له.

فإن قال قائل: إن القول بعود الضمير على الله تعالى فيه تشبيه وتمثيل، ولا فرق بين هذا وقول الصوفية، الذين شبهوا الإنسان بالله تعالى، واستدلوا بهذا الحديث.

فالجواب: أن السلف أبعد شيء عن التمثيل والتشبيه المحض، ثم لا يلزم من إثبات عود الضمير إلى الله تعالى موافقة مذهب الصوفية، فإنهم يصرحون بأن صورة الإنسان هو صورة الله تعالى، مثلاً بمثل، في كل شيء، وهذا المعنى ليس في مذهب السلف أبداً، ثم إن مصدر الصوفية في التلقي ليس الدليل الشرعي إنما الكشف والإلهام والمنام، فالقضية لديهم فلسفة محضة .



ثانياً

الإنسان الكامل جامع الحقائق الكونية

الحقائق الكونية حسب المصطلح الصوفي هي الموجودات؛ التي هي محل الظهور والتجلي الإلهي ، فكل موجود في الكون حقيقته تتمثل في الإنسان الكامل.

منزلة الإنسان الكامل من العالم:

إن وضع الإنسان الكامل موضع الروح من الجسد في هذا العالم، تنبيه ضماني إلى أن حياة هذا العالم متوقفة على الإنسان الكامل، وجوده بوجوده، ومماته بفراقه، وحياة كل جزء منه بحسب ما يسري إليه من النور والروحانية، فلو امتنع سريانه إلى جزء مات ذلك الجزء. وكل أثر يكون في الروح ينعكس على الجسد على التو، الكل ينتظر أمره ونهيه، وكذا العالم من الإنسان الكامل.

تتفاوت مراتب الإنسان الكامل، فالأعلى مرتبة هو محمد صلى الله عليه وسلم، وهو النفس الناطقة، فهو روح العالم بالأصالة، وغيره من الكمل بالتبع، وسبب الاختصاص:

كونه
العالم من
الناس.

كونه له
الكشف.

كونه سيد
الناس.

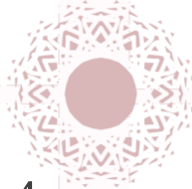
وتختلف أحوال تعلق
الإنسان الكامل
بالعالم، بالنظر إلى
حقيقة النبي صلى
الله عليه وسلم:

1. في حالة تسوية الجسد
لا يكون للروح تعلق،
وكذا العالم سوي وعدل
في مرتبة الجنين.

3. في حالة النوم يكون
التعلق ناقصًا، وكذا
العالم بفقده جمعية
محمد الجسدية الصورية.

2. في حالة نفخ الروح
يكون للروح تعلق كامل،
وكذا العالم لما وجد
النبي بروحه وجسده.

4. في حالة البعث يعود
تعلق الروح لكماله تارة
أخرى، فيكتسب العالم
حياة كاملة.



ويصور ابن عربي
العلاقة بين الله
تعالى والعالم
والإنسان كما يلي:

• (الإنسان الكامل) مختصر (العالم)

• و (العالم) مختصر (الحق).

إذن: (الإنسان الكامل) مختصر (العالم
والحق)، فهو نقاوة المختصر.

• (الإنسان الحيواني) مختصر (العالم
فقط).

هناك عبارة مشهورة عند الصوفية وهي قولهم : "ليس في الإمكان أحسن مما كان" ومعناها : استحالة إبداع صورة للعالم أحسن مما هو موجود ، لأن الموجود هو صورة الله ، ولا أحسن من صورة الله.

فالنتيجة : لا أحسن من صورة العالم على النحو الذي نراه .

صورة جمع الإنسان الكامل للحقائق الكونية:

وصورة جمع الإنسان الكامل للحقائق الكونية يكون بمقابلة كل حقيقة من حقائق الوجود برقيقة من رقائقه.

الصوفية يرون العالم صورة ظاهرة منعكسة لله تعالى، والنور الإلهي متسلسلاً في جداول من الفيوضات يغمر الكون، فكل ذرة فيه تعكس صفة من صفات الله تعالى، فالصفات الجميلة مثل الحب والرحمة، تنعكس في شكل السماء والملائكة، والصفات المخيفة من غضب وعقاب، تنعكس في النار والشياطين، والإنسان يعكس جميع هذه الصفات، فهو جماعها.

مناقشة فكرة جمع الإنسان الكامل الحقائق الكونية:

الإنسان مخلوق مفضل على كثير من الخلق بالرتبة، فله خصائص ليست لغيره من المخلوقات، وقد اجتمعت فيه كثير من الصفات والأحوال والأخلاق الموجودة في سائر الموجودات، على النحو الذي جاء في كلام الصوفية، بالإجمال من غير تفصيل؛ إذ كثير من تلك التفصيلات تحتاج إلى استدلال.

فثبوت أصل الفكرة، الدالة على
خاصية تميز الإنسان، لن تكون
بحال دالة على إعطاء الإنسان ما
لا يملك من خصائص، تبعاً لكونه
يحمل من الصفات ما تناثر جمعها
وتبدد في الكون، من كون
العالم كله ينظر إليه، ويتحرك
بحركته، ويسير بسيره، ويأتمر
بأمره!

والإنسان لم ينل بفضل تميزه التصرف
والتدبير في الكون، بل فضل ليكون
التفضيل عوناً له على عبادة الله وحده، سواء
بالشكر أو بالتأمل في نوعية هذا التفضيل،
أو باستغلال أدوات هذا التفضيل لتحقيق
الغاية من خلقه: العبادة.